

نظرية المعرفة في فلسفة أبو نصر الفارابي

The theory of knowledge according to the philosopher Abu Nasr Al-Farabi.

1 مساهل فاطمة*

المدرسة العليا للأساتذة عمور أحمد وهران ، (الجزائر). messahelfatma83@gmail.com

تاريخ الارسال 2025-02-28 تاريخ القبول 2025-03-24 تاريخ النشر 2025-05-27

ملخص:

إن نظرية المعرفة من بين المباحث الكبرى التي ساهمت في تطور الفلسفة الإسلامية، وأبو نصر الفارابي من أهم الفلاسفة اللذين خاضوا في طرق ومصادر وأنواع وسبل تحصيل المعرفة، فهو لم يضع نظرية خاصة مستقلة في المعرفة كما فعل في بعض نظرياته التي تخص السياسة والتصوف والموسيقى وغيره، إلا أن أفكاره في نظرية المعرفة جاءت منشورة التوزيع بين طيات مؤلفاته وذلك من خلال معالجته وتشخيصاته إلى النفس وقواها من ناحية، وإلى العلوم العقلية والإلهية من ناحية أخرى، جاء موضوع دراستنا المعنون بـ "نظرية المعرفة عند الفيلسوف أبو نصر الفارابي" تضمن إشكالية: ما مصادر المعرفة؟ ما أنواعه؟ وكيف ساهم الفارابي في تطوير الفلسفة الإسلامية؟

ومن أهم النتائج المتوصل إليها: أن الفلسفة الإسلامية تجاوزت الفلسفة اليونانية ووضع الفارابي ملامح وخصائصه بصمت وتميزت به الفلسفة الإسلامية عن غيرها من الفلسفات السابقة أو حتى اللاحقة (الفلسفة الغربية)، كما حدد الفارابي مصادر المعرفة ومراتبها وهي أربع: الخبر المنزل أي الدين ثم العقل والحواس والقلب تتعاون هذه المصادر على تبصير الذات العارفة بالمحصلة النهائية للمعرفة.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، الدين، مراتب العقل، الحواس، المنهج

Abstract:

The theory of knowledge is among the major investigations that contributed to the development of Islamic philosophy, and Abu Nasr Al-Farabi is one of the most important philosophers who delved into the methods, sources, types and means of obtaining knowledge. He did not develop a special, independent theory of knowledge as he did in Some of his theories related to politics, Sufism, music, etc. However, his ideas in the theory of knowledge were widely distributed among the folds of his works, through his treatment and diagnoses of the soul and its powers on the one hand, and the rational and divine sciences on the other hand. The subject of our study was entitled "The Theory of Knowledge of the Philosopher Abu Nasr." Al-Farabi * includes the problem: What are the sources of knowledge? What are its types? How did Al-Farabi contribute to the development of Islamic philosophy?

Among the most important results reached: Islamic philosophy surpassed Greek philosophy, and Al-Farabi silently laid out its features and characteristics, distinguishing

Islamic philosophy from other previous or even later philosophies (Western philosophy). Al-Farabi also specified the sources of knowledge and their levels, which are the four revealed knowledge, i.e. religion, then the mind, the senses, and the heart. These sources cooperate to enlighten the knowing self about the final outcome of knowledge

Keywords: Knowledge, religion, levels of mind, senses, and method

1. مقدمة:

تُعتبر الفلسفة الإسلامية تفكيرًا فلسفيًا عقليًا يتميز بانتمائه إلى الدين الإسلامي وثقافته. بدأت ملامحها تظهر في أوائل القرن التاسع الميلادي مع "إسحاق الكندي"، واستمرت حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي مع "ابن رشد". ويُعد "الفارابي"، وفقًا لكثير من المؤرخين، المؤسس الحقيقي للدراسات الفلسفية في العالم العربي، حيث وضع أسس الفلسفة الإسلامية وبنى أركانها في جميع فروعها.

تُعتبر نظرية المعرفة من الأسس التي ساهمت في تطوير الفلسفة الإسلامية بشكل خاص، والفكر الإنساني بشكل عام. وقد شهدت هذه النظرية نقلة نوعية مع الفلاسفة المسلمين، حيث قدم "الكندي" رؤيته حول السعي نحو معرفة الحقيقة، وعرف العلم بأنه "وجدان الأشياء وحقائقها". كما تناول مناهج المعرفة وأدواتها، مثل الوجود الحسي والعقلي والإلهي. أما "الغزالي"، فقد لعب التصوف دورًا رئيسيًا في صياغة نظرية المعرفة عنده، حيث استخدم منهج التشكيك للوصول إلى اليقين، وحصر المعرفة في الحواس الخمس وقوة التمييز التي تأتي من العقل والإلهام والنبوة.

يصعب وضع تعريف شامل لنظرية المعرفة في الفكر الإسلامي، لكن القاسم المشترك بين الفلاسفة المسلمين هو أنها "البحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها". وقد ميزوها عن "علم النفس" الذي يصف العمليات العقلية، وعن "المنطق" الذي يهتم بصياغة القواعد دون البحث في أصلها وقيمتها.

على الرغم من أن "الفارابي" لم يضع نظرية مستقلة للمعرفة كما فعل في مجالات أخرى مثل السياسة والتصوف والموسيقى، إلا أن أفكاره حول المعرفة توزعت في مؤلفاته. فقد تناولها من خلال تحليله لقوى النفس والعلوم العقلية والإلهية. ومن هنا نطرح الإشكال الآتي :

كيف عرّف الفارابي نظرية المعرفة ؟ وما مصادرها ؟ وما أقسامه ؟ وكيف تجاوز الفلسفة اليونانية ؟ وما بصماته الإسلامية في بناء نظرية المعرفة ؟

تهدف هذه الورقة إلى:

- تمجيد الفلسفة الإسلامية والدور الذي لعبته في تطور الفكر العالمي، حيث لا يمكن فهم تاريخ الفكر الفلسفي دون الاعتراف بمساهمات الفلسفة الإسلامية.
- إبراز إسهامات "الفارابي" التي تجسدت في أعمال العقل في إطار الشرع، دون تعارض بين "نور العقل ونور المقدس".
- إثبات سبق الفارابي تاريخيا في طرح مناهج تحصيل المعرفة قبل الفلسفة الغربية، حيث قدم المنهج التجريبي قبل "روجر بيكون" و"فرنسيس بيكون" وقام بإحصاء العلوم وتصنيفه، وأعطى مكانة متميزة للعقل قبل "ديكارت" و"لايبنتز".
- أهم نقطة وهي الاعتزاز بالماضي، إن العودة إلى الماضي والاعتزاز بإنجازات أجدادنا تمنحنا قوة لتحقيق نهضة فكرية. فالعقل العربي ليس أقل من العقل الغربي، وإنجازات الفلاسفة المسلمين تثبت أننا لسنا حاملين مورثات الجهل أو الغباء، بل لدينا تراث غني يمكن أن يكون دافعا معنويا نحو المستقبل.
- اعتمدت الدراسة على "المنهج التحليلي الاستنباطي" لطرح أفكار الفارابي المتميزة عن الفكر اليوناني، وإبراز ما قدمه من أفكار تجمع بين العقل والحواس في إطار يتوافق مع تعاليم الثقافة الإسلامية.

نظرية المعرفة عند الفارابي

قدّم الفارابي في نظرية المعرفة رؤية متكاملة تجمع بين العقل والحواس والوحي، مما ساهم في تطوير الفلسفة الإسلامية وتميزها عن غيرها من الفلسفات. أفكاره حول مصادر المعرفة ومراتبها تُعتبر إضافة نوعية لفهم كيفية تحصيل المعرفة وتحقيق الحقيقة وبلوغ السعادة الوجدانية .

مصادر المعرفة

1/ الخبر المنزل (الدين)

تبرز أهميته الخبر المنزه من خلال كتاباته حول الوحي وكلام الله (عز وجل) الذي يُنقل عبر الرسل والأنبياء كأول مصدر للمعرفة في رأيه، بالإضافة إلى حديثه عن المعجزات والأمور العقائدية والعبادات والأحكام الشرعية. يقول الفارابي في هذا السياق: "إن المعجزات تُثبت إمكانية وجودها لدى الأنبياء، وأن الدعاء حق واجب ومُستجاب، وأن الرؤى والمنامات حق، وما يُوصف به الأنبياء من إحاطتهم بالعلوم دون تعليم شاق فهو حق، وأخبارهم بالمغيبات حق، والعبارات حق واجب، وما يأتي به الأنبياء من شرائع وأحكام وأوامر ونواهٍ حق واجب، ويؤكد الفارابي على دور الخبر المنزل في فهم هذه الموضوعات وغيرها من قضايا العقيدة، قائلاً: "إن آراء الملل وما تحتويه من أوضاع لا تُختبر بالآراء والرؤى والعقول البشرية، لأنها أسمى مرتبة منها إذا كانت مستمدة من وحي إلهي، ولأنها تحوي أسراراً إلهية تعجز العقول البشرية عن إدراكها"¹

يُعتبر حديث الفارابي عن "الخبر المنزل" كمصدر للمعرفة من الأفكار التي تميز فلسفته عن فلسفة "أرسطو". وهذا الاختلاف طبيعي، كون الفارابي فيلسوفاً مسلماً يؤمن بالعقيدة الإسلامية وما تحمله من معارف تتجاوز قدرات الحس والعقل البشري. فبعض الحقائق لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال "الوحي"، أي الخبر المنزل من الله تعالى، وذلك بسبب طبيعتها الغيبية التي تختلف عن الموضوعات الحسية والعقلية.

هناك أمور لا يستطيع الحس إدراكها، ولا يمكن للعقل استنتاجها بمفرده، مثل معرفة أسماء الله وصفاته، وعلاقة الله بالعالم، وكيفية خلقه للكون.

بعض القضايا الغيبية مثل "الصراط"، "الميزان"، "الجنة"، "النار"، "الشفاعة"، وغيرها من الأمور السمعية لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها دون وحي إلهي.

إن الفرق بين أرسطو والفارابي في تركيز أرسطو على المعرفة التي تأتي من خلال الحس والعقل، أضاف "الفارابي" مصدراً ثالثاً للمعرفة، وهو "الوحي"، الذي يعتبره ضرورياً لفهم الحقائق الغيبية والتشريعات الدينية.

أضاف الفارابي بعداً جديداً لنظرية المعرفة من خلال إدخال "الخبر المنزل" كمصدر أساسي للمعرفة، وهذا المصدر يعكس إيمانه بأن هناك حقائق تتجاوز قدرات الحس والعقل، ولا يمكن

الوصول إليها إلا من خلال الوحي الإلهي، بهذا تميزت فلسفة الفارابي عن فلسفة أرسطو، حيث جمع بين العقل والوحي في بناء معرفة شاملة.

وعليه : كيف يكون العقل مصدرا للمعرفة؟ وما أهم مراتبه عند الفارابي ؟.

2/ العقل

أعطى الفارابي مكانة للعقل في نظريته المعرفية العقل ، إذ يُميز الإنسان ككائن مفكر عن باقي الموجودات، كما أن الفلسفة خطاب عقلي، والنص الديني الإسلامي موجه لأولي الألباب والبصائر والعقول. ولأهمية العقل، وضع الفارابي مقالة في معانيه، مؤكداً أن "العقل هو أخص ما يميز الإنسان، فهو الشيء الذي به يصير إنساناً." ويرى الفارابي أن العقل يُمكن الإنسان من تعلم العلوم والصناعات، وتمييز الجميل من القبيح في الأخلاق والأفعال، واتخاذ القرارات الصائبة، وإدراك الحسن والقبيح والصالح والطالح.

أ- مراتب العقل الإنساني:

وضع الفارابي درجات للعقل، تقاس بحدوث المعرفة، وهي أربعة

1/العقل بالقوة: هي قوة كامنة في النفس أو في الشيء نفسه، مُهيأة لأن تستخلص جوهر

الأشياء وصورها دون أن ترتبط بموادها، فتحولها جميعاً إلى صور ذهنية. هذه الصور المُستخلصة من موادها لا تُفصل عنها إلا عندما تصبح جزءاً من الذات، وهذه الصور التي تتحول إلى معقولات داخل الذات هي ما يُعرف بالمعقولات².

يُعتبر العقل الهولاني أو العقل بالقوة، وفقاً للفارابي، أول مرحلة في تطور العقل الإنساني. وهو قوة داخل النفس قادرة على استخلاص ماهيات الأشياء وصورها دون موادها، مما يجعل المعقولات بالنسبة لها موجودة بالقوة قبل أن تتحول إلى معقولات بالفعل. إذن، العقل بالقوة هو استعداد وقابلية لتلقي المعقولات قبل أن يدرك شيئاً محدداً. ثم يتدرج الفارابي في شرح مراتب العقل، ليصل إلى المرتبة الثانية في سلسلة تطوره

2/ العقل بالفعل:

عندما تتحقق صور الموجودات في العقل، يصبح عندها العقل بالفعل. فإذا استخلص العقل المعقولات من موادها، تتحول هذه المعقولات من حالة القوة إلى حالة الفعل. فقبل أن تُستخلص من موادها، كانت المعقولات موجودة بالقوة، ولكن بمجرد انتزاعها، تصبح معقولات بالفعل. وبالتالي، العقل بالفعل أو العقل بالملكة هو العقل الذي ينتقل فيه ما هو كامن (بالقوة)

إلى ما هو محقق (بالفعل) المعقولات بالفعل³. عندما تتحقق المعقولات بشكل فعلي، يصبح العقل مالكا لها، ويُوصف بأنه "عقل بالفعل" تجاه تلك المعقولات. أما المعقولات التي لم يتم إدراكها بعد، فإنها تظل في حالة كامنة أو "قوة" بالنسبة للعقل. وبالتالي، فإن للمعقولات وجودان: وجود بالقوة (قبل أن يتم إدراكها)، ووجود بالفعل (بعد أن يتم تجريدها كلياً من ارتباطها بالمادة وتصبح جزءاً من العقل)

3/ العقل المستفاد:

عندما يتحول العقل الذي كان يُطلق عليه "العقل بالفعل" إلى ما يُسمى "العقل المستفاد"، هنا يعقل المعقولات (المعقولة بالفعل)، فحين تصبح المعقولات مُدركة في العقل بحيث يراها "وكانها جزء لا يتجزأ من ذاته، يُصبح العقل في هذه الحالة "عقلاً مستفاداً" ويوضح الفارابي أن هذه الصور المعقولة تصبح جميعها صوراً للعقل من حيث هو عقل مستفاد. في هذا السياق، يُشبه العقل المستفاد "موضوعاً" تلك المعقولات تكون مرتبطة بالعقل المستفاد، الذي يعتبر "صورة" للعقل الذي بالفعل، و"مادة" للعقل المستفاد. من جهة أخرى، يُعتبر العقل الذي بالفعل "صورة" لتلك الذات (العقل بالقوة)⁴، والتي تشبه المادة، بينما تكون تلك الذات بمثابة "مادة" للعقل الذي بالفعل.

من هذا المنظور، يرى الفارابي أن العقل بالفعل يجمع بين كونه "صورة" و"مادة" في الوقت نفسه، مما يعكس تدرجاً وتكاملاً في مراتب العقل الإنساني، حيث يتحول من حالة القوة إلى الفعل، ثم إلى الاستفادة، في سلسلة من التفاعلات بين الصور والمعقولات.

4/ العقل الفعال

يصفه الفارابي بأنه صورة مفارقة لم تكن مرتبطة بأي مادة، وهو نوع من العقل بالفعل يشبه إلى حد كبير العقل المستفاد. هذا العقل الفعال يجعل المعقولات التي كانت موجودة بالقوة تتحقق بالفعل. بمعنى آخر، العقل الفعال هو قوة خالصة ومفارقة للمادة، وهو العامل الرئيسي الذي يُخرج العقل من حالة القوة إلى حالة الفعل.

ويختصر الفارابي هذا التدرج بقوله: "للعقل مراتب متعددة: فهو تارة يكون "عقلاً هيولانياً" (أي في حالة القوة)، وتارة يكون "عقلاً بالملكة" (أي في حالة الفعل)، وتارة أخرى يكون "عقلاً مستفاداً". هذه القوى التي تدرك المعقولات هي جوهر بسيط، لا يتصف بالجسمية، ولا يتحول

من القوة إلى الفعل بشكل تلقائي، بل يصير عقلاً تاماً فقط بفعل عقل مفارق، وهو ما يُعرف بـ"العقل الفعال"، الذي يقوم بإخراج هذه القوة إلى حيز الفعل⁵.

بهذا، يوضح الفارابي أن العقل الفعال هو المحرك الأساسي الذي يحدث التحول في مراتب العقل، من القوة إلى الفعل، ومن الفعل إلى الاستفادة، مؤكداً أن هذا العقل الفعال هو جوهر مفارق لا يتأثر بالمادة، بل هو السبب الذي يجعل العقل الإنساني يصل إلى كماله.

ب- موضوعات المعرفة العقلية

درس الفارابي الفلسفة اليونانية، وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو، واعتبرهما بمثابة أساسيات أولية لبناء آرائه في موضوعات المعرفة العقلية. وقد استخدم أفكارهما، لكن في حدود ما يتوافق مع الشرع (النقل)

من وجهة نظر "أفلاطون"، تستمد المعقولات أصلها من عالم المثل، حيث تكون معرفة النفس في العالم المحسوس مجرد تذكر للحقائق التي شاهدها أثناء وجودها في عالم المثل قبل أن تتجسد. وفقاً لأفلاطون، فإن الجسد يعيق النفس عن تذكر هذه الحقائق بسبب طبيعته المادية الكثيفة. ويوضح أفلاطون هذا المفهوم بقوله: "لما كانت النفس قد رأت كل شيء سواء في هذا العالم أو في هاديس (العالم الآخر، الذي يعتبره اليونان العالم السفلي)، فإنه ليس هناك شيء لم تتعلمه. وبالتالي، ليس من المستغرب أن تكون قادرة على تذكر ما سبق لها وعرفت"⁶، سواء كان متعلقاً بالفضيلة أو أي شيء آخر

أما "أرسطو"، فيرى أن المعرفة تتحقق من خلال العقل، ولا يمكن إدراك وجود الموجودات الخارجية المنفصلة عن الذات العارفة إلا بواسطة العقل. يقول أرسطو: "مادماً في الطبيعة نميز أولاً ما يمكن أن يكون مادة (هيولي) لكل نوع، ثم نحدد العلة الفاعلة التي تسبب وجودها، فمن الضروري أن نطبق هذا التمييز على النفس أيضاً. فمن جهة، هناك العقل الذي يشبه المادة: لأنه قادر على استيعاب جميع المعقولات، ومن جهة أخرى، هناك العقل الذي يشبه العلة الفاعلة: لأنه يحدثها جميعاً، مثل الضوء الذي يحول الألوان الكامنة إلى ألوان ظاهر بالفعل.

ومن الأدلة التي تدل على أن الوجود عند أرسطو هو وجود عقلي، يمكن ذكر نموذجين

1-العقل الهولاني: وهو العقل الذي يمثل القابلية لتلقي المعقولات

2-العقل الفعال: وهو العقل الذي يحول المعقولات من القوة إلى الفعل، ويُعتبر بمثابة العلة الفاعلة التي تجعل المعرفة ممكنة.

بهذا، يظهر أن الفارابي جمع بين أفكار أفلاطون وأرسطو، مع تعديلها لتتوافق مع رؤيته الفلسفية والإسلامية، مؤكداً أن المعرفة العقلية هي عملية تدريجية تبدأ من القوة وتنتهي بالفعل بفضل العقل الفعال.

الأول: في الدراسة التي أجراها الأستاذ "بيير أوبانك"، أستاذ الفلسفة بجامعة السوربون في باريس، حول مشكلة الوجود عند أرسطو، يوضح أوبانك أثناء بحثه عن الوجود كحقيقة قائلاً: "إن الوجود، من حيث كونه حقيقة"⁷، ليس سوى تكراراً لفكرة سبق أن احتواها الذهن، أي الوجود الذي يتجلى في المقولات، بمعنى أن الأصل عند أرسطو هو الوجود كما يفهم من خلال المقولات العقلية، وليس الوجود الخارجي المادي. وينتهي أوبانك إلى التصريح بأن أرسطو يدعونا إلى إهمال الوجود الخارجي عند دراسة معاني الوجود، أي الوجود من حيث هو حقيقة عقلية.

من هذا المنظور، يظهر أن أرسطو لا يعير اهتماماً كبيراً للوجود الخارجي في شكله المتعين المنفصل عن الذات العارفة، بل يركز على الوجود كما يفهم عقلياً. أما "النموذج الثاني": الذي يُستخدم لإثبات أن الوجود عند أرسطو هو وجود عقلي في المقام الأول، فهو ما يُلاحظ عند سؤاله عن معنى كلمة كلية مثل "إنسان". فبدلاً من أن يعتمد على المدلولات الحسية، يعتمد أرسطو على المقومات العقلية للفظ. فلا فرق عنده بين سؤاله عن معنى "إنسان" أو معنى "ملك"، لأن العبرة تكمن في المفهوم العقلي للفظ، وليس في المسميات الفردية الجزئية التي تدركها هذه الحاسة أو تلك.⁸

بعد دراسة الفارابي لفلسفة كل من أرسطو (المعلم الأول) وأفلاطون (المعلم الثاني)، حدد موضوعات المعرفة العقلية بأنها لا تعتمد على الحواس، بل على العقل الذي يدرك آثار الله تعالى في الموجودات، ويستدل منها على وجوده. فالمعقولات عند الفارابي توجد عن طريق العقل، وعندما تُدرك الأشياء المادية، تتحول إلى معقولات، فيصبح لها وجود في العقل يختلف عن وجودها المادي.

يشرح الفارابي هذه الفكرة بقوله: "عندما سُئل عن كيفية تشكُّل الصورة في العقل، أجاب بأن العقل يدرك صورة الشيء بشكل مجرد، بعيداً عن المادة أو الحالات الخارجية التي تظهر فيها، بل بشكل مختلف عنها. هذه الصورة تكون مفردة غير مركبة، ولا ترتبط بموضوع محدد، بل تكون منفصلة عن كل ما يرتبط بها." كما يلفت الانتباه إلى أن الفارابي أدرج موضوعات الألوهية ضمن إطار المعرفة العقلية، رغم أن العقل يعجز عن إدراك حقيقتها بشكل تام. فكل ما يستطيع العقل فعله هو البرهنة على وجودها⁹، أي محاولة إثبات وجود الله تعالى عبر الأدلة العقلية والحجج المنطقية.

ختاماً، يؤكد الفارابي أن المعرفة العقلية لا تُلغي دور المعرفة الحسية، لكن لكل منهما مجاله المختلف. فالمعرفة الحسية تتعامل مع العالم المادي المحسوس، بينما تتعامل المعرفة العقلية مع المفاهيم المجردة والمعاني التي تتجاوز المادة.

وعليه : كيف تكون الحواس مصدر للمعرفة ؟وما أنواع المعرفة الحسية ؟

3/ الحواس: يقسم الفارابي الحواس إلى قسمين الظاهرة و الباطنة

أ/ الحواس الظاهرة:

إن الحواس مصدر رئيس وأساسي لاكتساب المعرفة في رأيه ، حيث يرى أنها الطريق أو المنفذ الرئيس التي تستفيد منه النفس الإنسانية في بناء المعارف¹⁰،. فالمعرفة التي يكتسبها الإنسان تنشأ أولاً من خلال الحواس، التي تُعتبر بوابات الإدراك الأولى للعالم الخارجي. ويوضح الفارابي أن الحواس الخمس المعروفة (البصر، السمع، الذوق، الشم، اللمس) هي أدوات الإدراك التي تترجم المحسوسات إلى معلومات يستطيع العقل التعامل معها. ويُشير الفارابي إلى أن كل حاسة من هذه الحواس تختص بإدراك نوع معين من المحسوسات، كما سماها أرسطو "بالحواس الخاصة"، لأن كل حاسة تدرك ما يخصها من المحسوسات. فالبصر يدرك الألوان والأشكال، والسمع يدرك الأصوات، والذوق يدرك الطعوم، وهكذا. كل حاسة لها مدرك معين يختلف عن مدرك الحواس الأخرى.

ويرى الفارابي أن الحس يدرك الهيئة والصورة كما تظهر له في المادة، وليس كما هي في حقيقتها المجردة. فالحواس لا تدرك الأشياء في جوهرها المجرد، بل تدركها كما تبدو في المادة المحسوسة. ويعبر عن ذلك بقوله: "الحس الظاهر (أي الحواس الخمس) لا يدرك زيدا

من حيث هو إنسان مجرد له أحوال من الكم والكيف وغير ذلك، بل يدركه كما يظهر في المادة .

ويؤكد الفارابي أن الحواس هي أداة إنسانية مشتركة بين جميع الناس، ولكنها تنسلخ عن الصورة المحسوسة بمجرد أن يغيب المحسوس. فالحواس لا تستطيع إدراك الصورة إلا في وجود المادة وعلاقاتها المادية. بمعنى آخر، الحواس تتعامل مع العالم المادي المحسوس، ولا تستطيع تجاوزه إلى إدراك الحقائق المجردة دون مساعدة العقل.

بهذا، يظهر أن الفارابي يرى للحواس دورًا أساسيًا في بداية عملية المعرفة، لكنه يضعها في إطارها المحدود، حيث تحتاج إلى العقل لتحويل المحسوسات إلى معقولات مجردة. فالحواس هي البداية، ولكنها ليست النهاية في طريق إكتساب المعرفة الإنسانية.

ب/ الحواس الباطنة:

اعتمد الفارابي على الحواس الخمس الظاهرة، وأبرز دورها الأساسي في فهم العالم الخارجي، مقدمًا بذلك أساسًا للمنهج التجريبي قبل ظهور كل من روجر بيكون وفرنسيس بيكون. فقد أكد على أهمية مشاركة الحواس في اكتشاف الموجودات وبناء المعرفة. أما بالنسبة للحس الباطن، فقد أولاه الفارابي اهتمامًا كبيرًا، باعتباره المحور الذي تلتقي فيه الإحساسات وتُعالج. وتتجلى قوى الحس الباطن عنده في خمسة جوانب رئيسية: الحس المشترك (المصورة)، الوهم، الحافظة، المفكرة، والمتخيلة.

1-المصورة (الحس المشترك)

هذه القوة هي التي تحتفظ بأشكال المحسوسات حتى بعد اختفائها عن نطاق الحواس الظاهرة. تُعد بمثابة مخزن لكل ما تدركه الحواس الظاهرة، حيث تجمع الصور التي تلتقطها الحواس الخمس. ويوضح الفارابي ذلك بقوله: "في المنطقة المشتركة بين الباطن والظاهر توجد قوة تُعتبر مجتمعة لتلقي الحواس (المصورة)، وعندها يتحقق الإحساس الحقيقي." أي أن كل حاسة من الحواس الخمس تنقل ما تدركه إلى هذا المركز، الذي يعمل كمجمع للصور الحسية¹¹، مما يسمح بدمج وتنسيق المعلومات التي تأتي من الحواس المختلفة.

2-الوهم

الوهم هو القوة التي تدرك ما لا تدركه الحواس الظاهرة. فهو ينطبع فيه صورة الذئب، مثلاً، بلونه وشراسته، مما يدفع الشاة إلى الهروب منه، شرح الفارابي ذلك بقوله: "ويظل في

المصورة قوة تُسمى الوهم، وهي القوة التي تدرك من المحسوس ما لا تدركه الحواس مباشرة. مثال ذلك القوة الموجودة في الشاة، فعندما تتشكل صورة الذئب في حاسة الشاة، يتشكل معها شعور العداء تجاهه، رغم أن الحاسة نفسها لا تدرك هذا الشعور. "بمعنى أن الوهم يتجاوز الإدراك الحسي المباشر، ليلتقط المعاني والانطباعات التي لا تُدركها الحواس الظاهرة، مما يسمح للكائنات بالتفاعل مع المحيط بشكل أعمق وأكثر تعقيداً.

3- الحافظة:

الحافظة هي خزانة ما يدركه الوهم، كما أن القوة المصورة هي خزانة ما يدركه الحس الظاهر. فهي تحفظ الصور والمعاني التي ينتجها الوهم لاستخدامها لاحقاً.

4- المفكرة والمخيلة

هذه القوة هي التي تتعامل مع ما تحتويه خزانة "المصورة" و"الحافظة" من صور ومعاني، فتقوم بتركيبها أو تفريقها. يقول الفارابي: "إن المفكرة هي التي تتعامل مع الودائع الموجودة في خزانتي المصورة والحافظة، فتمزج بعضها ببعض أو تفصل بينها. وتُسمى مفكرة إذا استخدمها روح الإنسان والعقل، أما إذا استخدمها الوهم، فتُسمى سميت مخيلة¹².

من هذا النص نستنتج أن "المفكرة" تستمد مادتها من الصور والمعاني الحسية المخزنة، وتقوم بوظيفة تركيب هذه الصور أو تفريقها. وإذا استخدمها الإنسان أو عقله تحديداً، تُسمى "مفكرة"، أما إذا استخدمها الوهم، فتُسمى مخيلة.

يُميز الفارابي بين "المفكرة" و"المصورة" وغيرها من قوى الحس الباطن، رغم أنه أحياناً يعرف "المخيلة" تعريفاً يشمل بعض التداخل مع "المصورة".

أما بالنسبة لوجهة نظر "أرسطو" حول التخيل، فهو يفصل بين التخيل والإحساس، حيث يرى أن التخيل عملية مستقلة عن الإحساس المباشر.

اهتمام الفارابي بالحس جعله فيلسوفاً واقعياً حسيّاً، يعتمد على التجربة الحسية في فهم العالم، بينما اهتمامه بالعقل جعله فيلسوفاً مثاليّاً، يؤمن بقدرة العقل على تجاوز المادة وإدراك المعاني المجردة. وهكذا جمع الفارابي بين النزعة الحسية والنزعة العقلية في فلسفته.

واهتمامه بالقلب كمصدر للمعرفة جعله فيلسوف مؤمناً وعليه : كيف يكون القلب مصدر

للمعرفة ؟

4/ القلب

هو آخر مصدر من مصادر المعرفة عند الفارابي، ويُعتبر أداة فريدة تتعرف على الحقائق . التي تفوق مستوى الحس والعقل. فإذا كان العقل عاجزاً عن إدراك حقيقة الأشياء المطلقة، فإن القلب يستطيع أن يتجاوز هذه الحدود ويتعرف على ما هو فوق عالم الحس والعقل. في هذا الصدد يقول: "الحس يتعامل مع ما ينتمي إلى عالم الخلق (أي العالم المادي المحسوس)، بينما العقل يتعامل مع ما ينتمي إلى عالم الأمر (أي العالم المجرد والمعاني العقلية). أما ما يتجاوز عالم الخلق والأمر، فهو محجوب عن إدراك الحس والعقل معاً"¹³ بهذا التقسيم، يؤكد الفارابي أن للحواس مجالها المحدود في التعامل مع العالم المادي، بينما للعقل مجاله الخاص في التعامل مع المفاهيم المجردة والمعقولات. ومع ذلك، فإن هناك ما يتجاوز كلا العالمين (الخلق والأمر)، وهو ما لا يمكن للحس أو العقل إدراكه بشكل كامل، مما يشير إلى وجود حقائق أعلى أو مطلقة تبقى خارج نطاق الإدراك البشري المباشر. هذا الرأي يعكس عمق التفكير الفلسفي للفارابي وتركيزه على التكامل بين الحس والعقل، مع الإقرار بوجود حدود للإدراك البشري.

القلب كمصدر للمعرفة الإيمانية :

القلب عند الفارابي ليس مجرد عضو جسدي، بل هو مصدر للمعرفة الإيمانية والروحية. فهو يكشف عن الحقائق العقائدية التي يعجز الحس والعقل عن إدراكها. فالقلب يُعتبر أداة للكشف الروحي، حيث يتعرف على ما هو غيبي ومفارق للمادة.

المعرفة القلبية في الفلسفة الإسلامية :

الحديث عن المعرفة القلبية ينفرد به الصوفية وبعض الفلاسفة الذين تأثروا بالروحانية الإسلامية، مثل الفارابي، ابن سينا، أبو حامد الغزالي، وابن العربي. هذه المعرفة تركز على معرفة الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته، وهي معرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق المؤمن المحب لله.

تميز الفارابي عن أفلاطون وأرسطو :

ما يميز الفارابي عن أفلاطون وأرسطو هو قوله بالمعرفة القلبية المستوحاة من العقيدة الإسلامية. فبينما ركز الفلاسفة اليونانيون على العقل والحس كمصدرين رئيسيين للمعرفة، أضاف الفارابي بعداً روحياً يتمثل في القلب كمصدر للمعرفة الإيمانية.

المعرفة الفطرية ودور الأنبياء

يرى الفارابي أن المعرفة الفطرية بالله موجودة في النفس الإنسانية، لكنها قد تُغفل بسبب انشغال الإنسان بإشباع حاجات الجسد. فالجسد يُعتبر حجابًا يحول بين النفس ومعرفة الله. ولذلك أرسل الله الأنبياء والرسل لتذكير الإنسان بربه وإيقاظ هذه المعرفة الفطرية الكامنة فيه. **موضوعات المعرفة القلبية :**

تختلف موضوعات المعرفة القلبية عن غيرها من موضوعات المعرفة الأخرى، حيث لا يعتمد القلب على الحواس أو العقل في تلقيها، بل يعتمد على الكشف الروحي الذي يأتي من لدن الله تعالى. هذه المعرفة تُعتبر تسليمًا روحيًا يتجاوز المنطق والمادة.

ما يميز نظرية المعرفة عند الفارابي هو الجمع بين المعرفة الحسية، المعرفة العقلية، والمعرفة القلبية. فبينما تعتمد المعرفة الحسية على الحواس، والمعرفة العقلية على التفكير المنطقي، فإن المعرفة القلبية تعتمد على الكشف الروحي والإيمان. هذا التكامل بين الحس والعقل والقلب يجعل الفارابي فيلسوفًا يجمع بين الواقعية والعقلانية والروحانية، مستلهمًا ذلك من الدين الإسلامي وعظمته.

بهذا، يظهر أن الفارابي قد وسع أفق الفلسفة بإدخال البعد الروحي والإيماني، مما جعله فيلسوفًا متميزًا في تاريخ الفكر الإسلامي والعالمي

خاتمة

في الختام، نستنتج أن الفارابي كان أول من وضع الأسس الأولى للفلسفة الإسلامية، متناولًا مجالات المعرفة والوجود والقيم. انطلق الفارابي من الفلسفة اليونانية كأساس لبناء نسقه الفلسفي، مستفيدًا من إسهامات فلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو في مجال مصادر المعرفة ومناهجها. تميز الفارابي في طرحه لنظرية المعرفة بالدقة والعقلانية والتناسق الفكري. وفقًا لمؤرخي العلم مثل جورج سارتون وبعض فلاسفة الغرب، فإن الفلاسفة والعلماء المسلمين مثل ابن رشد وابن الهيثم والرازي وغيرهم، أسهموا بعلومهم ونظرياتهم في تمهيد الطريق لظهور الفلسفة الحديثة والحضارة الغربية. أما في إطار الحضارة والفلسفة الإسلامية، فقد لُقّب الفارابي بـ "المعلم الثاني".

ومن خلال ما سبق، يمكن تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها كالتالي

نظرية المعرفة تبحث في طبيعة المعرفة ومصادرها، وتدرس العلاقة بين المحسوسات والعقلانيات. بمعنى أدق، هي العملية التي يتم من خلالها الوصول إلى الأفكار العقلية المتعلقة بالوقائع الحسية، سواء كانت مادية أو عقلية.

تقوم نظرية المعرفة عند الفارابي على ثلاثة أركان رئيسية: النفس، الوجود، والفيض (الذي يشير إلى الذات الإلهية). كما تعتمد على درجات معرفية تشمل الحسية والعقلية والاشراقية. فالمعرفة الحسية ترتبط بقوة النفس مثل القوة الناطقة، بينما المعرفة الاشراقية تعتمد على التصوف والمشاهدة، وتختلف باختلاف مراتب الأفراد وقدراتهم على الاتصال بالعقل الفعال.

إن الهدف من الورقة البحثية هو الرجوع إلى مكانة الفلسفة الإسلامية المتميزة وإبراز الإسهامات الكبيرة التي قدمتها عبر فلاسفة ومفكرين مسلمين، الذين لا يقلون أهمية عن فلاسفة اليونان أو فلاسفة العصر الحديث مثل ديكارت وفرانسيس بيكون. وأخيراً، لا يمكن كتابة تاريخ الفكر الإنساني دون ذكر الحضارة الإسلامية، التي كانت حلقة وصل أساسية في بناء الفكر الغربي الحديث، وهو ما يعترف به الغرب أنفسهم، ونحن لا نحمل جينات التخلف، ويمكننا العودة إلى الرقي والمراتب العلمية التي وصل إلى علمائنا وفلاسفتنا في العصور الماضية.

الهوامش

- ¹ الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، تح: عثمان أمين، مطبعة السعادة القاهرة، س 1949م، ص 132.
- ² الفارابي أبو نصر، أداء أهل المدينة الفاضلة، نقلاتي عن الفاخوري و خليل البحر، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، بيروت، لبنان، ط3، ص 44.
- ³ الفارابي أبو نصر، مقالة في معاني العقل، المدرسة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 950، ص 50 من المجموع
- ⁴ المصدر نفسه، ص 53.
- ⁵ الفارابي أبو نصر، عيون المسائل، كتاب ضمن الثمرة المرضية في بعض الرسائل القرآنية تح: عماد نبيل، ط1، دار الفارابي؟، بيروت، لبنان، س 2012، ص 74.
- ⁶ أفلاطون، فيدون في خلو دالة النفس، تر: عزت قرني، مكتبة الحرية الحديثة، مصر، ط1، س 1979، ص 110.
- ⁷ نقلا عن مقالات في أمانة المفكر المسلم، د: فوقية حسين محمود، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، مصر، س 1988م، ص 64.
- ⁸ نجيب محمود زكي، نحو فلسفة علمية، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، س 1958م، ص 22، 23.

⁹الفارابي أبو نصر، المسائل الفلسفية والأجوبة عنها، د(ط)، ص 106، من المجموع.

¹⁰الفارابي أبو نصر، التعليقات، رسائل الفارابي، ص 4.

¹¹أبو النصر الفارابي، فصوص الحكم، ص 26.

¹²أبو النصر الفارابي، فصوص الحكم، ص 26.

¹³أبو النصر الفارابي، فصوص الحكم، ص 29